محاضرة ماتعة:

[السلف وطلب العلم]

٦ جمادى الأولى ١٤٤٦ هجري

لفَضِيلَةُ الشَّيْخِ

أ.د: سليمان بن سليم اللّه الرحيلي

غَفَرَ اللّٰهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِمَشَايِخِهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ

بسم الله الرحمن الرحيم

السَّلَف وَطَلَب الْعِلْم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلهِ نَحْمَدُهُ تَعَالَىٰ ونَسْتَعِينُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ، ونَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا ومِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ ومَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورَسُولُهُ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ولَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا ونِسَاءً واتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ والْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ويَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ومَنْ يُطِعِ اللَّهَ ورَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠- ٧١].

وبَعْد؛

إنني أرحبُّ بإخوانِي الحضور والمُتابعين، فمرحبًا بوصيَّة رسولِ الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. أهلًا وسهلًا بالذين أحبُّهم وأودُّهم في الله ذي الآلاء.

معاشر الإخوة؛ إن هذه المحاضرة التي أشرُفُ بأن ألقيَّها علىٰ مسامِعكم مقصودي منها أن أثر انتباه طلاب العلم -وأنا منهم- إلىٰ أمور ثلاثة من أهم المهمات لطالب العلم، ولها تأثيرٌ بالغٌ في تحصيله العلمي بِإِذْنِ اللهِ.

- ✓ **أما الأول منهـا** فهو همة السلف العالية في طلب العلم.
- ✓ **وأما الثاني منها** فهو حرص السلف علىٰ الجمع بين الأدب والعلم.
- ✓ **وأما الثَّالِث منها** فهو حرص السلف علىٰ الانتفاع بالعلم.

أيها الفضلاء؛ إن العلم شجرة كل خير، فالخير كله مرده إلىٰ العلم، ولذلك قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]. فالخير كله، أوله وآخره، وظاهره وباطنه، إنما هو تحت راية العلم. والجهل شجرة لكل شر، فالشر كله في الجهل، فلا يَرُوج الشر إلا حيث يروج الجهل. يقول شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: (الجهل والظلم هما أصل كل شر، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢]).

ويقول رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: (كل خيرٍ في الوجود إما عامٌ وإما خاص، فمنشأُه من جهةِ الرسولِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وكلُّ شرٍّ في العالم مختص بالعبد فسببه مخالفة الرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو الجهل بما جاء به صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ). وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: (أصل كل خير هو العلم والعدل، وأصل كل شر هو الجهل والظلم)؛ فإذا أردت أن تعرف منزلتك من الخير فانظر حالك مع العدل والعلم، فكلما كان الإنسان أعدل، وبالله وبشرعه أعلم، كان أعظم منزلة في الخير.

وإنما ينتفع ببيان القرآن وبيان السنة وبهداهما من عنده علم؛ قال تَعَالَىٰ: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٣٠]. **وقال سُبْحَانَهُ:** ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ١١]. ولهذا نُهِيَ المُؤْمِنُ عن أن يكُونَ من الجاهِلين، قال تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٥]. ونُهِيَ المُؤْمِنُ أن يكون شَأْنُه وأن يكون حالُه أن يتَّبِعَ الجَهْل، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]. ولا يمكن أن يستوي من يعلم مع من لا يعلم، قال تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩]؛ والله لا يستوون. شتان بين عالم علمًا نافعًا وبين جاهل جهلًا بسيطًا أو جهلًا مُرَكَّبًا. ولعدم استواءهم رفع الله عَزَّ وَجَلَّ من يعلم العلم النافع وينتفع بذلك العلم درجاتٍ علىٰ غيره، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١].

ولذا كان العلماء من الشهود علىٰ أعظم الفروض وأجل الأمور وأعلىٰ المصالح، قال تَعَالَىٰ: ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل

عمران: ١٨]. قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: (استشهد سبحانه أولي العِلمِ علىٰ أجلِّ مشهودٍ عليه وهو توحيدُه، فذكرَ الآية). قال رَحِمَهُ اللهُ: (وهذا يدلُّ علىٰ فضلِ العلمِ وأهلِهِ) من وجوه:

- **أحدُها**: استشهادُهم دون غيرِهم من البشر، فهم الذين استشهدَهم الله عَزَّ وَجَلَّ.
- **وَالثَّانِي**: اقترانُ شهادتِهم بشهادته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.
- **الثَّالِث**: اقترانها بشهادة ملائكته.
- **الرَّابِع**: أن في ضمن هذا تزكيتهم وتعديلهم، فإن الله لا يستشهد من خلقه إلا العُدول.
- **الخَامِس**: أنه وصفهم بكونهم أُولِي العلم، وهذا يدلُّ علىٰ اختصاصهم به، وأنهم أهلُه وأصحابُه.
- **السَّادِس**: أنه سُبْحَانَهُ استشهدَ بنفسِه وهو أجلُّ شاهد، ثم بخيار خلقِه وهم ملائكتُه والعلماءُ من عبادِه، ويكفيهم بهذا فضلًا وشرفًا.
- **السَّابِع**: أنه استشهدَ بهم علىٰ أجلِّ مشهودٍ به وأعظمِه وأكبرِه، وهو شهادةُ أن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، والعظيمُ القدر، إنما يستشهدُ علىٰ الأمرِ العظيمَ أكابرَ الخلق، وساداتِهم.
- **الثَّامِن**: أنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ جعل شهادتَهم حُجَّةً علىٰ المُنكِرين، فهم بمنزلة أدلَّته، وآياتِه وبراهينِه، الدَّالَّة علىٰ توحيدِه.
- **التَّاسِع**: أنه سُبْحَانَهُ أفرد الفعل المتضمن لهذه الشهادة الصادرة منه ومن ملائكته ومنهم، ولم يعطِف شهادتَهم بفعلٍ آخر غير شهادته، وهذا يدلُّ علىٰ شدة ارتباط شهادتهم بشهادته، فكأنه سُبْحَانَهُ شهدَ لنفسِه بالتوحيد علىٰ ألسِنَتهم، وأنطقَهم بهذه الشهادة، فكان هو الشاهدَ بها لنفسِه إقامةً وإنطاقًا وتعليمًا، وهم الشاهدون بها له إقرارًا واعترافًا وتصديقًا وإيمانًا.
- **العَاشِر**: أنه سُبْحَانَهُ جعلَهم مؤدِّينَ لحقِّه عند عباده بهذه الشهادة، فإذا أدَّوها فقد أدَّوا الحق المشهود به، فثبت الحقُّ المشهود به، فوجَبَ علىٰ الخلق الإقرار به، وكان ذلك غاية سعادتهم في معاشهم ومعادهم. وكلُّ من نالَه الهُدىٰ بشهادتهم، وأقرَّ بهذا الحق بسبب شهادتهم فلَهم من الأجر مثل أجره، وهذا فضلٌ عظيم لا يدري قدره إلا الله. وكذلك كل من شهد بها علىٰ شهادتهم فلهم من الأجر مثل أجره.

فهذه عشرة أوجه في هذه الآية.

ومما تدلُّ عليه هذه الآية أن العالم في ميزان الشرع إنما هو العالمُ المُوحِّد الذي يشهد بالتوحيد، ويلهج بالتوحيد، ويُقيمُ التوحيد، هذا هو العالمُ المُزكَّىٰ، وهذا هو العالمُ النائلُ أعلىٰ المنازل؛ فالخيرُ كلُّه ملوءٌ بالتوحيد، فلن يَشرُف عبدٌ إلا بأن يكون مُوحِّدًا توحيدًا خالصًا لربِّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وقال القُطبي رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عن هذه الآية: (في هذه الآية دليلٌ علىٰ فضلِ العلم، وشرفِ العلماء وفضلِهم، فإنه لو كان أحدٌ أشرفَ من العلماء لقرنَهم الله باسمِه واسمِ ملائكته كما قرنَ اسمَ العُلَمَاء). وليس أدلَّ علىٰ شرف العلم والزيادة منه من كون الله عَزَّ وَجَلَّ أمر رسوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يسأله المزيد منه، فَقَالَ: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]. قال ابن الْقَيِّم رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: (وكفىٰ بهذا شرفًا للعلم أن أمرَ الله نبيَّه أن يسأله المزيد منه). وقال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: (قال الله في شرف العلم لنبيه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، فلو كان شيءٌ أشرفَ من العلم لأمرَ الله تَعَالَىٰ نبيَّه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يسأله المزيدَ منه، كما أمرَ أن يستزيدَه من العلم).

والساعون في طلب العلم من أمثالكم، الرَّاحِلُون في طلبِه، المُجتهِدُون في طلبِه، اصطفَاهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِأَمْرٍ عَظِيم قال تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢]. فطُلابُ العِلم الذين هداهم ووفَّقهم ربُّهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لطلب العلم كهؤلاء الطُّلاب الذين انتظموا في الجامعةِ الإسلامية وفي حِلَقِ العُلماء، إنَّما اصطفَاهُم الله واختارَهُم ليقوموا في الأُمَّة مقامَ الأنبياءِ عَلَيْهِم السَّلَامُ ببيان الحق والهُدىٰ ودعوة الناس إلىٰ الخير. ومن سلَك هذا الطريق مُخلِصًا لله فإن هذا يدلُّ علىٰ أن الله أراد به الخير.

أما من أعرض عن هذا الْعِلْمِ وتنكَّب عن طريقه فإن هذا يدلُّ علىٰ أن الله عَزَّ وَجَلَّ لم يُرِد به الخير. فعن معاوية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قال رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَن يُرِدِ اللهُ به خَيْرًا يُفَقِّهْهُ في الدِّينِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. والسَّالِكُ هذا الطَّريقَ بإخلاص وتواضُع سائرٌ في طريق الجَنَّة، وموعودٌ بالرحمة والسكينة ومُجالسة الملائكة، والشرف بأن يذكُره الله عَزَّ وَجَلَّ في الملأ الأعلىٰ. قال النبيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَن سلَكَ طريقًا يلتَمِسُ فيهِ علمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طريقًا إلىٰ الجنَّةِ، وما اجتمعَ

قومٌ في بيتٍ من بيوتِ اللهِ، يَتلونَ كتابَ اللهِ، ويَتدارسونَهُ بينَهُم، إلَّا حفَّتهمُ الملائِكَةُ، ونزَلت عليهمُ السَّكينةُ، وغشيتهمُ الرَّحمةُ، وذَكَرَهُمُ اللهُ فيمن عندَهُ» رواه مسلم في الصحيح. «

وعند أبي داوود والتِّرْمِذِيّ وابن ماجه عن أبي الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سمعتُ رسولَ الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «مَن سلَكَ طريقًا يلتَمِسُ فيهِ علمًا ، سَهَّلَ اللهُ لَهُ طريقًا إلىٰ الجنَّةِ ، وإنَّ الملائِكَةَ لتَضعُ أجنحتَها لطالِبِ العلمِ رضًا بما يصنعُ وإنَّ العالم ليستغفِرُ لَهُ مَن في السَّمواتِ ومن في الأرضِ ، حتَّىٰ الحيتانِ في الماءِ ، وفضلَ العالمِ علىٰ العابدِ كفَضلِ القمرِ علىٰ سائرِ الكواكبِ ، وإنَّ العُلَماءَ ورثةُ الأنبياءِ إنَّ الأنبياءَ لم يورِّثوا دينارًا ولا درهمًا إنَّما ورَّثوا العلمَ فمَن أخذَهُ أخذَ بحظٍّ وافرٍ».

هذا الشرف العظيم، والطريق إلىٰ الجنة لا يُثبِّط عنه بمختلف الأساليب إلا نوابُ إبليس، نوابُ إبليس شأنُهم أن يُثبِّطوا طلابَ الْعِلْمِ عن طلبَ الْعِلْمِ بأساليبَ ماكرة وطرقٍ مختلفة. قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: (نوابُ إبليس في الأرض، وهمُ الذين يُثبِّطون الناس عن طلب الْعِلْمِ والتفقُّه في الدِّين، فهؤلاء أضرُّ عليهم من شياطين الجن، فإنهم يحُولون بين القلوب وبين هدىٰ الله وطريقه). وقد عَرَفَ السَّلف والعلماء الأوائل شرف الْعِلْمِ وعظيم فضله، وحَثُّوا علىٰ طلبِه حَثًا شديدًا أكيدًا. قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ: (ليس في الوجود أشرف من الْعِلْمِ).

قال عُمَر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (تعلمُوا العلمَ وعلِمُوه الناس، وتعلمُوا له الوقار والسكينة، وتواضَعُوا لمن تعلمتم منه ولمن علمتموه، ولا تكونوا جبابرةَ العُلَمَاء فلا يُقوَّمُ جهلُكم بعلمِكم). تعلمُوا العلم، اطلبوه، واحرصوا علىٰ طلبه، وعلموه الناس، وتعلموا له الوقار والسكينة؛ إنما يصلح العلم مع الوقار والسكينة، ولا يصلح العلم مع العبث وكثرة الضحكات، فإن هذا كان ينهي عنه السلف الصالح رِضْوَانُ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَيْهِم. ولا ينتفع طالبُ العلم بالعلم، بل لن يقرب العلم علىٰ وجه الحقيقة إلا إذا كان متواضعًا لمن يتعلمُ منه، ومتواضعًا لمن يُعلمُه إِنْ شَاءَ اللهُ له أن يُعلم. وأما المُتكبِّرُ فإنه لن يُحصِّل علمًا في الطلب ولن ينفع طالبًا إن أراد أن يُعلِم.

وروي مثل هذا الكلام عن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. وجاء عن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قَالَ: «الناسُ ثلاثةٌ: عالمٌ رَبَّانيٌّ، ومتعلِّمٌ علىٰ سبيلِ نجاةٍ، وهمَجٌ رَعاعٌ أتباعُ كلِّ ناعقٍ، يميلونَ مع كلِّ ريحٍ، لم يستضيئوا بنورِ العلمِ، ولم يَلْجؤوا إلىٰ ركنٍ وثيقٍ، يا كُمَيلُ بنَ زيادٍ، العلمُ خيرٌ مِن المالِ، العلمُ

يحرُسُكَ، وأنتَ تحرُسُ المالَ، المالُ يُنقِصُه النفقةُ، والعلمُ يزكو على الإنفاقِ، يا كُمَيلُ بنَ زيادٍ، محبةُ العالمِ دِينٌ يُدانُ، تُكسِبُه الطاعةَ في حياتِه، وجميلَ الأُحْدوثةِ بعدَ وفاتِه، ومنفعةُ المالِ تزولُ بزوالِه، العلمُ حاكمٌ، والمالُ محكومٌ عليه، يا كُمَيلُ، مات خُزَّانُ المالِ وهم أحياءٌ، والعلماءُ باقونَ ما بقِيَ الدهرُ، أَعْيانُهم مفقودةٌ، وأمثالُهم في القلوبِ موجودةٌ».

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ معلِّقًا على هذا الأثر: (وقوله: «إن الناس ثلاثة: عالمٌ رباني، ومُتعلمٌ على سبيل النجاة، وهمجٌ رعاعٌ»؛ هذا تقسيمٌ خاصٌ للناس، وهو الواقع). فإن العبد إما أن يكون قد حصَّل كماله من العلم والعمل أو لا.

فالأول العالمُ الرباني. والثاني إما أن تكون نفسُه متحركةً في طلبِ ذلك الكمال ساعيةً في إدراكِه أو لا. والثاني هو المتعلمُ على سبيل النجاة. والثالث هو الهمجُ الرعاع. فالأول هو الواصل، والثاني هو الطالب، والثالث هو المحروم المُعرِض؛ فليس عالمًا ولا متعلمًا.

وقال أبو الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (تعلمُوا العلم قبل أن يُقبضَ العلم، وقبضُه أن يُذهبَ بأصحابه؛ العالم والمُتعلمُ شريكان في الخير، وسائرُ الناس لا خيرَ فيهم. إن أغنى الناس رجُلٌ عالم افتُقِرَ إلى علمِه، فنفعَ من افتقرَ إليه. وإن استُغنيَ عن علمِه نفعَ نفسَه بالعلمِ الذي وضعَ الله عَزَّ وَجَلَّ عندَه). قَالَ: (وما أحوجَنا إلى هذه الجُملة، فما لي أرى علماءكم يموتون، وجُهَّالكم لا يتعلَّمون؟).

نعم والله؛ إن في هذه السُّنيات الأخيرة أو المُدَّد الأخيرة نرى علماءَنا يُفقَدون، ونرى كثيرًا من المسلمين معرضين عن العلم.

قَالَ: (ولقد خشيتُ أن يذهب الأول ولا يتعلم الآخر، ولو أن العالم طلبَ العلم لازداد علمًا، وما نقصَ العلم شيئًا. ولو أن الجاهل طلبَ العلم لوجدَ العلم قائمًا، فما لي أراكم شباعًا من الطعام جياعًا من العلم).

نعم والله؛ إن الجوع الشديد المهلك هو الجوع من العلم، هو أن يكون الإنسان على جهل أو متبعًا الجهلة.

وقال الحسن بن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وعن أبيه لبنيه ولبني أخيه: (تعلموا العلم فإنكم صغار قومٍ وتكونون كبارهم غدًا، فمن لم يحفظ منكم فليكتب). تعلموا العلم فإنكم اليوم صغارُ قومٍ وفيه

كبارٌ، وغدًا ستكونون كبارًا؛ والمقصود أنه لا خيرَ في الناس إذا كان كبارُهم لا عِلمَ عندهم. وإنما الخير ما بقِيَ العلم.

وقال المُبرِّد: (كان يُقال: (تعلمُوا العلم فإنه سببٌ إلىٰ الدِّين، ومنبهةٌ للرجل، ومُؤنِسٌ في الوحشة، وصاحِبٌ في الغُربة، ووصلةٌ إلىٰ المجالِس، وجالِبٌ للمال، وذريعةٌ في طلب الحاجة)).

وقال حبيبُ بن عُبيد: (تعلموا العلمَ، واعقلُوه).

كلُّ هذا يا إخوة مناهِج في طلب العلم؛ تعلموا العلم واعقلوه وانتفعوا به، تعلموا العلم واجمعوه، واعقلوه وافهموه، وانتفعوا به. هذا المنهج لطالب العلم الرباني؛ أن يتعلم العلم ويحرص عليه وأن لا يشبع منه. وأن يحرص علىٰ فهمه وأن يحرص علىٰ الانتفاع به، قَالَ: (تعلموا العلم واعقلوه وانتفعوا به، ولا تعلموه لتتجملوا به).

إنه يُوشِكُ إن طال بك العمر أن يُتجمل بالعلم كما يتجمل الرجل بثوبه. نعم والله؛ وقد رأينا هٰذَا، رأينا من الناس من يتجمل بالشهادة، يتجمل بالدُّكتوراة، يتجملُ بكذا كما يتجملُ الرجلُ العاميُّ بثوبِه. لا ينفعُ الناس، لا ينشرُ العلمَ النافِع، لا يُرىٰ أثَرُ العلمِ عليه وإنما هي شهادةُ زُور كما قال الشيخُ الأمين رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ. وقال سُفيانُ بن عُيينَة رَحِمَهُ اللهُ: (لم يُعطَىٰ أحدٌ في الدنيا شيئًا أفضلَ من النبوة، وما بعد النبوة شيءٌ أفضلَ من العلم والفقه. فقيل عمن هٰذَا؟) عمن تذكر هٰذَا؟ فَقَالَ: (عن الفقهاء كلهم).

وجاء عن سُفيان الثوري والشافعي أنهما قالا: (ليس بعد الفرائض أفضلُ من طلب العلم). إن الاشتغال بالعلم عند أكثر المُحقِّقين أفضل من الاشتغال بنوافِل العبادات البدنية من صلاةٍ وصيامٍ ونحو ذلك؛ لأن العبادات تُصحَّحُ بالعلم، ولأن العلم يتعدَّىٰ نفعُه، ولأن العلم يبقىٰ بعد موت صاحبه، والعبادة تنقطِعُ بموته. ألا ترون أننا إلىٰ هذه اللحظة وسيبقىٰ هذا إِنْ شَاءَ اللهُ نتعلمُ من الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ، نتعلمُ من الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ، نتعلمُ من الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ، نتعلم من الشيخ مقبل الوادع رَحِمَهُ اللهُ، نتعلم من الشيخ صالح الحيدان رَحِمَهُ اللهُ، نتعلم من الشيخ عبد الله الغديان رَحِمَهُ اللهُ؛ نسمعهم ونتعلم عليهم، لا زال أثرهم باقيًا، ولا زال علمهم باقيًا. فالعلم إذا أُخذ بشرطه كان خيرًا للعبد من أن يشتغل بنوافل العبادات، والجمع بين المصالح خيرٌ وآكد.

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: (السعادة الحقيقية هي سعادة العلم النافع، فإنها هي الباقية على تقلُّب الأحوال، والمصاحبة للعبد في جميع أسفاره وفي دوره الثلاث؛ أعني: دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار القرار. وبها يرتقي معارج الفضل ودرجات الكمال).

نعم والله؛ إن النعيم إنما هو في العلم، ومن صبر على طلب العلم سيترقى إلى أن يجد أن طلب العلم نعيمه في الدنيا لكن لا بد من الصبر حتى يصل الإنسان إلى هذه الدرجة. قال الشيخ ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: (وإنما رغب أكثر الخلق عن اكتساب هذه السعادة) يعني التي في العلم (وتحصيلها بسبب وعورة طريقها، ومرارة مباديها) المبادئ في طلب العلم صعبًا مُحرِقة، لكن كما قالوا: (من كانت بداياتُه مُحرِقة كانت نهاياتُه مشرِقة).

قَالَ: (وأنها لا تُنالُ إلا على جدٍ من التعب، فإنها لا تُحصَّلُ إلا بالجدِّ المحضّ). وكان السلف يفرحون برؤية طلاب العلم لأنه -والله الذي لا إله إلا هو- ما تزال الأمة في خير ما بقي فيها طلابُ علم يُقبلون على العلم النافِع، يحمِلون الكتب، ويحمِلون الكراريس والدفاتر، يحمِلون العلم عن العُلَمَاء.

وقد كان ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إذا رأى الشباب يطلبون العلم قَالَ: (مرحبًا بينابِيع الحكمة ومصابِيح الظُّلَّمْ، خُلْقانِ الثيابِ، جُدُدِ القُلُوبِ، حُلُسِ البيوتِ، ريحانِ كلِّ قبيلة). نعم طُلَّابُ العلم هم ينابيع الحِكمة التي تتفجَّر في وقتها وتنفعُ الأمةَ بِإِذْنِ اللهِ في وقتها، وهم مصابيحُ الظُّلَّمْ بما يحمِلونه من العلم، مظاهرهم الدنيوية تميلُ إلى الفقر، وقلوبُهم مليئةٌ بالغنى، وهذا هو الغنى الحقيقي. وكان السلف يحثون على الثبات على طريق طلب العلم مهما كانت العوائق.

وقد روى الخلال أن رجلًا سأل الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ فَقَالَ: (إني أطلب العلم، وإن أمي تمنعني من ذلك، تريد حتى أشتغل بالتجارة) كما هو شأن كثير من العوام، يظنون أن العلماء نقص في قدر الإنسان وفيما يحصله من الدنيا، وينظرون إلى ما يجلب المال. فقال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ: (دارِها وأرضِها ولا تدع الطلب). هٰذِه أمه، هٰذَا أكبر عائق، قَالَ: (دارها وأرضها) بأن تُعطيها من مالك، بأن تُظهر لها أنك وأنت تطلب العلم خيرٌ لها منك قبل أن تطلب العلم، (ولا تدع الطلب). وقد كانت للسلف هممٌ عاليةٌ في طلب العلم، وقد كان السلف يستحسِنون السمرَ في الليل في طلب العلم، ويُحبُّون السهرَ في ذلك. قِيل لبعض السلف: (بما أدركت العلم؟)، فَقَالَ: (بالمصباح،

والجُلُوس إلىٰ الصباح). وقال بعضُهم لما سُئِل بما أدركت العلم: (قال بِالسَّفَر، والسَّهَر والبُكُور في السَّحَر). بالسَّفَر: أي الرِّحْلَة في طلب العلم. والسَّهَر: أي قضاء الليل في القراءة. والبُكُور في السَّحَر: أي إلىٰ المشايخ.

وقال الخطيب البغدادي: (أفضل المُذاكرة مُذاكرة اَللَّيْل) لأنَّ الذِّهنَ يصفُو في اَللَّيْل، فمن أفضَل أوقات المُذاكَرة أن يُذاكِر طالبُ العلم في اَللَّيْل. وجاء عن أبي بكر بن أبي موسىٰ أن أبا موسىٰ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أتىٰ عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بعد العشاء، فقال له عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (ما جاء بك؟)، قَالَ: (جئت أتحدث إليك). فقال عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (هذه الساعة؟ بعد العشاء؟)، قَالَ: (إنه فقه) إنه علم. قَالَ: (فجلس عمر فتحدَّثَا ليلًا طويلًا). ثم إن أبا موسىٰ قَالَ: (الصلاة يا أمير المُؤْمِنِيْنَ) يعني قيام اَللَّيْل، فقال عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (إنا في صلاة) إنا في عبادة.

وذكر محمد بن فضيل عن أبيه قَالَ: (كان الحارثُ بن يزيد، وابنُ شبرُمة، والقعقاعُ بن يزيد، ومُغيرَة؛ إذا صلَّوا العشاءَ الآخرة، جلَسوا في الفقه، فلم يُفرِّق بينهم إلا أذان الصبح). وقال علي بن الحسن بن شقيق: (قُمتُ لأخرُج معَ ابن المُبارَك في ليلة باردة من المسجد) يعني صليا في المسجد صلاة العشاء ثم قاما ليخرجا من المسجد وينصرفا في ليلة باردة، والإنسان في الليلة الباردة يحب أن يُسرِع إلىٰ بيته. قَالَ: (فذاكرني عند الباب بحديث أو ذاكرته)، قَالَ: (فما زلنا نتذاكر حتىٰ جاء المؤذن للصبح). وكان البُخَارِيّ رَحِمَهُ اللهُ لا يكاد ينام في ليله إذ أنه كلما نام تمر عليه الفائدة فيقوم ويُوقِد السراج، فيكتُبها ثم يُطفِئه، ثم يقوم...، يفعل ذلك أكثر من عشرين مرة.

وذكر إبراهيم بن عيسىٰ عن الحافظ المُنذري رَحِمَهُ اللهُ أنه لم يرىٰ ولم يسمع أحدًا أكثر اجتهادًا منه في الاشتغال، كان دائم الاشتغال بالليل وَالنَّهَار، قَالَ: (وجاورته في المدرسة فوق بيته اثنتي عشرة سنة، فلم أستيقظ في ليلة من الليالي، في ساعة من ساعات اَللَّيْل) يعني في أول اَللَّيْل، في وسط اَللَّيْل، في آخر اَللَّيْل، (إلا وجدتُ ضوءَ السِّراج في بيتِه، وهو مُشتغِلٌ بالعلم).

ومِما حكاه النوويُّ عن نفسِه في أوائلِ الطلب أنه بقيَ سنتين لم يضع جنبَه علىٰ الأرض، أنه بقي سنتين لم يضع جنبه علىٰ الأرض، وأنه إذا غلبه النوم استند إلىٰ الكُتب لحظة ثم ينتبه. من حرصه علىٰ الطلب ما كان ينام مُضطَجِعًا علىٰ الأرض، إذا غلبه النوم اتكأ علىٰ كتبه ونام قليلًا، ثم استيقظ. وقال الفيروز آبادي عن نفسه: (لا أنام حتىٰ أحفظ مئة سطر) أخذ علىٰ نفسه هذا في كل ليلة، لا ينام

حتىٰ يحفظ مئة سطر. ليس حتىٰ يقرأ مئة سطر وإنما حتىٰ يحفظ مئة سطر. وكان السلف يستقِلُّون أيَّ شيءٍ في سبيل طلب العلم، ويستسهِلون الصعب في طلب العلم، ومن ذلك ما رواه الإمام أحمد عن عبد الله بن محمد بن عقيل أنه سمع جابر بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول: (بلغني حديثٌ عن رجل سمعه من رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لاحظوا يا إخوة؛ صحابيٌ بلغه حديثٌ عن صحابي فعلم الحديث، والغالبُ بل المُؤكدُ أن الواسط صحابي، ومع ذلك قَالَ: (فاشتريت بعيرًا، ثم شدَدتُ عليه رحلِي فسِرتُ إليه شهرًا حتىٰ قدمتُ عليه الشام، فإذا عبدُ الله بن أُنيس، فقلتُ للبواب: قُل له جابِرٌ علىٰ الباب، فَقَالَ: ابن عبد الله؟ قَالَ: قلتُ نعم، فخرجَ يطأُ ثوبَه) أي عبد الله بن أُنيس (قالَ: فاعتنقَني واعتنقتُه فقلت: حديثٌ بلغني أنك سمعتَه من رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في القِصاص، فخشِيتُ أن تموتَ أو أموتَ قبل أن أسمعَه) ليس مُطلقَ السماع لأنه قد سمعَه، لكن قبل أن أسمعَه منك، وأنت الذي سمعتَه مُباشرة. قَالَ: (سمعتُ رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: « يَحشُرُ اللهُ العِبادَ يومَ القِيامةِ – أو قال العباد– عُراةً غُرلًا بُهمًا. قال : قُلْنا وما (بُهْمًا) ؟ قال ليس مَعَهُم شيءٌ، ثُم يناديهم بصوتٍ يسمعُه مَنْ بَعُدَ كما يسمعُه مَن قَرُبَ : أنَا الدَّيانُ ، أنَا الملِكُ، لايَنبغِي لأحدٍ من أهلِ النارِ أنْ يدخلَ النارَ ولهُ عند أحدٍ من أهلِ الجنةِ حقٌ؛ حتىٰ أقُصَّه مِنه، ولاينبغِي لأحدٍ من أهلِ الجنةِ أنْ يدخلَ الجنةَ ولِأحدٍ من أهلِ النارِ عِندَه حقٌ حتىٰ أقُصَّهُ مِنه، حتىٰ اللطْمةَ قال : قُلنا : كيفَ، وإنَّما نأتِي عُراةً غُرلًا بُهمًا ؟ ! قال : الحسناتُ والسيئاتُ». حقوق الناس يا أخوة خطيرة جدًّا، حَتَّىٰ لو كان لصاحب النَّار حق عَلَىٰ صاحب الجَنَّة فإنه لا بد أن يُستوفى.

فانظروا هذه الهمة! صحابيٌ سمع الحديث لكن ما سمعه من الصحابي الذي سمعه مُباشرة، يرتحِلُ شهرًا علىٰ بعير ليسمع هذا الحديث، وأوّل ما عانقه بادره بالسؤال خشية أن يسبقه الموت قبل أن يسمع. ويقول سعيد بن المسيّب: (إن كنت لأغيب الأيام والليال في طلب الحديث الواحد) يعني إن كنت لأغيب عن أهلي الأيام والليالي في طلَب حديثٍ واحدٍ.

ويقول أحد السلف: (خرجتُ من بلاد الشام، من دمشق إلىٰ مصر، ومن مصر إلىٰ الحجاز، ومن الحجاز إلىٰ العراق، ومن ثم من العراق إلىٰ الحجاز مرةً أخرىٰ سبع سنين، كلُّ هذا علىٰ قدمي). وقال أبو العالية: (كنا نسمع الرواية عن أصحاب رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالبصرة، فلم نرضىٰ حتىٰ ركبنا الإبل وذهبنا لأصحاب النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المدينة) يعني كانوا

يسمعون الرواية بإسناد النازل عن طريق الواسطة وهم في البصرة، ما اكتفوا بهذا، فركِّبوا الإبل حتىٰ ذهبوا إلىٰ المدينة ليكون الإسنادُ عاليًا، ليسمعوا من صحابة رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وأبو حاتمٍ الرَّازي يقول ابنه عبد الرحمن سمعتُ أبي يقول: (بقيتُ في سنةِ أربعة عشرةَ ثمانيةَ أشهر بالبصرة، وكان في نفسي أن أُقيم سنة، فانقطعت نفقتي) يعني بعد ثمانية أشهر انقضَت النفقة، انتهت.

قالَ: (فجعلتُ أبيعُ ثيابي حتىٰ نفِدَت، وبقيتُ بلا نفَقة) يعني ما بقي إلا الثوبَ الذي يلبسُه. قَالَ: (ومضيتُ أطوفُ مع صديقٍ لي إلىٰ المشيخة، وأسمعُ إلىٰ المساء فانصرفَ رفيقي، ورجعتُ إلىٰ بيتي، فجعلتُ أشربُ الماءَ من الجُر) ما عنده شيء إلا الماء. (ثم أصبحتُ، فغدا عليَّ رفيقي، فجعلت أطوف معه في سماع الحديث علىٰ جوع شديد، وانصرفت جائعًا، فلما كان من الغد غدا عليَّ) أي رفيقه ليطوفوا لسماع الحديث.

فَقَالَ: (مُرَّ بنا إلىٰ المشايخ)، قَالَ: (قلتُ: أنا ضعيف لا يُمكنني). قَالَ: (ما ضعفُك؟). قلتُ: (لا أكتُمُك أمرِي، قد مضىٰ يومان ما طعِمتُ فيهما شيئًا). فَقَالَ: (قد بقي معي دينار) يعني من نفقته هو. قَالَ: (فنِصفُه لك، ونجعل النصف الآخر في ٢٧:٤٥.

قَالَ: (فخرجنا من البصرة وأخذت منه النصف دينار). قَالَ: (وسمعتُ أبي يقول: خرجنا من المدينة، وسِرنا إلىٰ الجار وركِبنا البحر، فكانت الريح في وجوهنا، فبقينا في البحر ثلاثة أشهر وضاقت صدورنا، وفَنِيَ ما كان معنا. وخرجنا إلىٰ البر نمشي أيامًا حتىٰ فني ما تبقىٰ معنا من الزاد والماء، فمشينا يومًا لم نأكل ولم نشرب. ويوم الثاني كمثلٍ، ويوم الثَّالِث كمثلٍ، فلما كان يكون المساء) يعني في اليوم الثالث (صلينا، وكنا نلقي بأنفسنا حيث كنا، فلما أصبحنا جعلنا نمشي علىٰ قدر طاقتنا)) جوع عطش.

قَالَ: (وكنا ثلاثة أنفس: شيخُ النيسابوري، وأبو زهير المرُّوزي، فسقط الشيخُ -أي النيسابوري- مغشيًا عليه، فجئنا نحرِّكه وهو لا يعقل) هم لا يستطيعون حمله من الضعف، وهو سقط مغشيًا عليه لا يستطيع أن يتحرك.

قَالَ: (فتركناه ومشينا قدر فرسخ، فضعفتُ وسقطتُ مغشيًا عليَّ. ومضىٰ صاحبي يمشي، فبصُر من بُعدٍ قومًا قرَّبوا سفينتَهم من البر، ونزلوا علىٰ بئر موسىٰ، فلما عاينهم لوَّح بثوبه إليهم فجاؤوه معهم ماء في إداوة، فسقوه وأخذوا بيده، فقال لهم: الحقوا رفيقين لي؛ فما شعرت إلا برجل يصب

الماء علىٰ وجهي ففتحت، عيني فقلتُ: أسقِني، فصبَّ من الماء في مشربةٍ قليلًا، فشرِبتُ ورجعت إليَّ نفسي. ثم سقاني قليلًا وأخذَ بيدي فقلتُ: ورائي شيخٌ مُلقىٰ، فذهب جماعةٌ إليه وأخذَ بيدي وأنا أمشي وأجُرُّ رجلي، حتىٰ إذا بلغتُ إلىٰ عند سفينتهم، وأتَوا بالشيخ، وأحسنُوا إلينا، فبقينا أيامًا حتىٰ رجعت إلينا أنفسُنا، ثم كتبُوا لنا كتابًا إلىٰ مدينةٍ يُقالُ لها راية، إلىٰ واليِّهم، وزوَّدُونا من الكعك والسويق والماء، فلم نزل نمشي حتىٰ نفِد ما كان معنا من الماء والقوت، فجعلنا نمشي جياعًا علىٰ شط البحر حتىٰ دُفِعنا إلىٰ سلحفاة مثل التُرس، فعمدنا إلىٰ حجر كبير فضربنا علىٰ ظهرها فانفلق، فإذا فيها مثل صفرة البيض فتحسيناه حتىٰ سكن عنا الجوع. ثم وصلنا إلىٰ مدينة الراية، وأوصلنا الكتاب إلىٰ عاملها، فأنزلنا في داره، وكان يقدِّم لنا كل يومنا القرع، ويقول لخادمه: هات لهم اليقطين المبارك، فيقدمه مع الخبز أيامًا. فقال واحد منا) يعني هؤلاء المشايخ الثلاثة بالفارسية. (فقال واحد منا: ألا تدعو باللحم المشؤوم؟) يعني هو دائمًا يقول هات الطعام المبارك القرع، هات الطعام المبارك، فقال أحدهم بالفارسية: ألا تدعو باللحم المشؤوم؟ فسمع صاحب الدار فَقَالَ: (أنا أُحسن الفارسية). (وأتانا بعد ذلك باللحم، ثم زودنا إلىٰ مصر) ما انقطعت رحلتهم مع كل هذا التعب والعناء.

وقال عنه ابنه عبد الرحمن: (ربما كان يأكل وأقرأ عليه، ويمشي وأقرأ عليه، ويدخل الخلاء وأقرأ عليه، ويدخلُ البيت في طلب شيءٍ وأقرأ عليه)، وهذا حرص علىٰ الوقت، حتىٰ كان ابن الجوزي إذا أرادَ أن يدخل الخلاء أمرَ ابنتَه أن تجلِسَ قريبًا منه وتقرأ من كتاب.

وقال عبد الرحمن: (سمعتُ أبي يقول: أولُ سنةٍ خرجتُ في طلب الحديث أقمتُ سبع سنين) يعني في هذه الرحلة (أحصيتُ ما مشيتُ علىٰ قدمي زيادةً علىٰ ألف فرسخ) كان يحسب. فأول الأمر كان يحسب حتىٰ أحصىٰ زيادة علىٰ ألف فرسخ، ألف فرسخ يعني سير أربعة أشهر علىٰ الأقدام.

قَالَ: (ثم تركت العدد بعد ذلك، وخرجت من البحرين إلىٰ مصر ماشيًا، ثم إلىٰ الرملة ماشيًا، ثم إلىٰ دمشق، ثم أنطاكيا وطرسوس، ثم رجعت إلىٰ حمص، ثم إلىٰ الرقة، ثم ركبت إلىٰ العراق؛ كل هذا في سفري الأول وأنا ابن عشرين سنة).

ومما حكاه ابنه عبد الرحمن عن نفسه قَالَ: (كنا بمصر سبعة أشهر لم نأكل فيها مرقة) يعني ما أكلوا شيئًا مطبوخًا، حتىٰ المرقة. قَالَ: (لم نأكل فيها مرقة، كل نهارنا مقسمٌ لمجالس الشيوخ،

وبالليل النسخ والمقابلة). قَالَ: (فأتينا يومًا أنا ورفيقٌ لي شيخًا، فقالوا: هو عليل) اليوم مريض ما يستطيع أن يجلس. قَالَ: (فرأينا في طريقنا سمكة، فأعجبتنا، فاشتريناها. فلما صرنا إلىٰ البيت حضر وقت مجلس) يعني حضر وقت مجلس شيخ آخر. قَالَ: (فلم يُمكِنَّا إصلاحُها، ومضينا إلىٰ المجلس فلم نزل حتىٰ أتىٰ عليها ثلاثة أيّام). قَالَ: (وكادت أن تتغير، فأكلناها نيئة، لم يكن لنا فراغ أن نعطيها لمن يشويها) ما هو أنهم يشوونها، ما كان عندهم فراغ أن يُعطوها لشخصٍ يشويها لهم، من حرصهم علىٰ الوقت.

ويقول ابن القاسم تلميذُ الإمام مالك رَحِمَهُ اللهُ: (أفضىٰ طلبُ العلم بمالكٍ في بداية الطلب إلىٰ أن نقضَ سقفَ بيتِه فباعَ خشبَه). وقال الإمام أحمد: (أقام شُعبة بن الحكم بن عُتبيَّة ثمانية عشر شهرًا يطلب الحديث حتىٰ باع جزوع بيته). وقال يحيي بن سعيد القطان: (كنت أخرج من البيت قبل الغداة فلا أرجع إلىٰ العتمة) يعني كان يخرج في طلب العلم قبل الفجر ولا يرجع إلىٰ البيت إلا بعد العشاء. وقال عبد بن يعيش: (أقمت ثلاثين سنة ما أكلت بيدي في اَللَّيْل، كانت أختي تلقمني وأنا أكتب الحديث) ما كان متفرغًا ليأكل، كانت يده مشغولة في الليل بالكتابة فكانت أخته ترق له فتأتي بالطعام وتُلقِّمُه في فمه من حرصهم علىٰ الوقت.

وقال محمدٌ حبيب: (كُنَّا نحضرُ مجلسَ أبي إسحاق إبراهيم بن علي لطلب الحديث، فكان يجلسُ علىٰ سطحٍ له ويمتلِئُ الشارعُ بالناس يحضرون للسماع، وكُنتُ أقومُ في السَّحَر فأجد الناس قد سبقوني وأخذوا مواضعهم) يقول كنت أستيقظ مبكرة في آخر الليل لأذهب لعلي أتقدم أجلس في مكان متقدم، يقول فأجد الناس قد سبقوني وأخذوا مواضعهم.

وقال جعفر بن درستويه: (كنا نأخذ المجلس في مجلس علي بن المديني وقت العصر لمجلس الغد) كانوا يجلسون وقت العصر لمجلس الغد. قَالَ: (فنقعد طوال الليل مخافة أن لا نلحق من الغد موضعًا يُسمع فيه. ورأيت شيخًا يبول في طيلسانه) الطيلسان ثوب واسع دائر علىٰ الإنسان. قَالَ: (ورأيت شيخًا يبول في طيلسانه) يعني تحت الطيلسان (مخافة أن يُؤخذ مكانه لو قام ليبول).

وقال الحافظ عبد الرحمن بن يوسف بن خراش: (شربت بولي في هذا الشأن) يعني في طلب الحديث (خمس مرات) ومقصوده أنه كان في الرحلة ينفذ الماء منه، فيصل به العطش إلىٰ أن يخشىٰ علىٰ نفسه الهلاك فيشرب بوله، وفعل هذا خمس مرات. هذا قليل من شأنهم في الهمة في طلب

العلم. وقد كان من شأن السلف رِضْوَانُ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَيْهِم في طلب العلم أنهم يسوِّرونه بالأدب، فيبدؤون بالأدب قبل الطلب، ويحرصون علىٰ الأدب أثناء الطلب، ويعملون بالأدب بعد الطلب، فكان علمهم كله مسوّرًا بالأدب. قال سفيان الثوري: (كانوا لا يخرجون أبنائهم لطلب العلم حتىٰ يتأدّبوا). وقال ابن مُبارك: (طلبتُ الأدبَ ثلاثين سنة، وطلبتُ العلم عشرين سنة، وكانوا يطلبون الأدبَ ثم العلم). الأدب هنا يا إخوة يدخل في تزكية النفس، فيقول عن نفسي طلبتُ الأدب ثلاثين سنة وأنا أُروِّض نفسي وأُزكِّي نفسي علىٰ الأخلاق الحسنة وعلىٰ النيات الحسنة، وطلبت العلم ٢٠ سنة. وحكىٰ عمن قبلهم أنهم كانوا يطلبون الأدب ثم العلم. وقال ابن مبارك: (كاد الأدب أن يكون ثلثي العلم). قلتُ: والثلثُ الباقي إِنْ لَمْ يَكُمْ مَعَ أَدَب أَضَرَّ صَاحِبَهُ وَلَمْ يَنْفَعه.

وأخرج الخطيب في الجامع بسنده إلىٰ مالك بن أنس قَالَ: قال محمد بن سيرين: (كانوا يتعلمون الهديَ كما يتعلمون العلم). كانوا يتعلمون أدب العلماء، سمت العُلَمَاء، هدي العُلَمَاء؛ كما يتعلمون العلم. وقال إبراهيم بن حبيب الشهيد: قال لي أبي: (يا بنيَّ ائتِ الفقهاء والعلماء، وتعلم منهم، وخُذ من أدبهم وأخلاقهم وهديهم، فإن ذاك أحبُّ إليَّ من كثيرٍ من الحديث). أن تأخذ الأدب مع العلم أحب إليه من أن تأخذ العلم الكثير بلا أدب. وقد كانوا يقولون نحن إلىٰ كثير من الأدب أحوج منا إلىٰ كثير من الحديث. وقال أبو زكريا العنبري: (عِلمٌ بلا أدب كنارٍ بلا حطب، وأدب بلا علم كجسم بلا روح). كانوا يقرنون الأدب بالعلم ويُصوِّرون العلم بالأدب، علمٌ بلا أدب كنارٍ بلا حطب، وأدبٌ بلا علم كجسمٍ بلا روح.

وقال الليث بن سعد وقد أشرف علىٰ بعض أصحاب الحديث، فرأىٰ منهم شيئًا من سوء الأدب مع بعضهم، وللأسف -وأنا أبٌ أتحدث-، من أسفٍ شديد أن سوء الأدب بين طلاب العلم مع بعضهم صار كثيرًا غالبًا، وقد يظنُ بعضهم أن هذا -أعني سوء الأدب- من قوة المنهج أو من سلامة الطريق، ووالله ما كان سوء الأدب من قوة المنهج، بل ينبغي علىٰ طالب العلم أن يعمل بعلمه مع إخوانه، ولذلك كان السلف إذا قيل لهم شيء قالوا وأين العلم؟ كيف تأمرني بهذا؟ أين العلم الذي ينهىٰ عن هذا؟ أن يكون طالب العلم معلمًا لإخوانه آخذًا بيد إخوانه إلىٰ الخير، رفيقًا بهم، محسنًا إليهم، وخاصة من يأتي من الطلاب المبتدئين، والله إنه يصدق في كثيرٍ منا أن يُقال إن منكم منفِّرين.

أيها الإخوة؛ أنا في هذا المقام لست ناقضًا ولا عائبًا ولكني أبٌ قد تقدم بي السن ومررت بهذه المراحل، واليوم طلاب العلم يُتخطفون من أيدينا، هناك من يُغريهم بالأموال، وهناك من يُغريهم بالمساعدات، وهناك من يُغريهم بالوعد بالوظائف بعد التخرج ممن يصيرون علىٰ غير الهدىٰ، فحريٌّ بنا أن نكون أعوانًا لإخواننا عَلَىٰ طلب العلم، وأن نحرص علىٰ الرفق في موضعه، وأن نحذر من أن نكون منفرين.

الليث بن سعد أشرف علىٰ بعض أصحاب الحديث، أي كانوا يطلبون الحديث، فرأىٰ منهم شيئًا فَقَالَ: ما هذا؟ أنتم إلىٰ يسير من الأدب أحوج منكم إلىٰ كثير من العلم).

وجاء عن محمد بن عيسىٰ الزجاج قال سمعتُ أبا عاصم يقول: (من طلبَ هذا الحديث) والعلم الشرعي يدخل في هذا كله. (من طلبَ هذا الحديث فقد طلبَ أعلىٰ أمور الدنيا، فيجب أن يكون خيرَ الناس) ينبغي أن يكون في باب الأدب وفي باب الأخلاق خيرَ الناس؛ لأنه يحمل خير محمول، يحمل خير وأعلىٰ أمور الدنيا. وقال خطيب البغدادي كأنه يحكي عن بعض صغار طلاب العلم الذين يتعلمون نُتَفًا من العلم فينتفخون، ممن نراهم في زماننا، ولا سيما خفافيش الإنترنت الذين يُجمِّعون كلماتٍ عن طريق البحث، ثم يتطاولون علىٰ أهل العلم، ويتطاولون علىٰ أهل الهدىٰ.

قال الخطيب البغدادي: (وقد رأيتُ خلقًا من أهل هذا الزمان ينتسِبون إلىٰ الحديث، ويعُدُّون أنفسهم من أهله المُختصين بسماعِه ونقلِه، وهم أبعَدُ الناس مما يدعون، وأقلُّهم معرفةً بما إليه ينتسبون، يرىٰ الواحدُ منهم إذا كتبَ عددًا قليلًا من الأجزاء واشتغلَ بالسماعِ برهةً يسيرةً من الدهر أنه صاحبُ حديثٍ علىٰ الإطلاق، ولما يُجهِد نفسَه ويُتعِبها في طِلابِه ولا لحقتْه مشقةُ الحِفظ لصنوفِه وأبوابِه). قالَ: (وَهُمَّ مع قِلَّةِ كَتْبِهِمْ لَهُ وَعَدَمِ مَعْرِفَتِهِم بِهِ أَعْظَمُ النَّاسِ كِبْرًا، وَأَشَدُّ الْخَلْقِ تِيهًا وَعُجْبًا، وَلاَ يُرَاعُونَ لِشَيْخٍ حُرْمةً، وَلاَ يُوْجِبُونَ لِطَالِبٍ ذِمَّة، يَخْرِقُونَ بِالرَّاوِينَ وَيُعَنِّفُونَ عَلَىٰ الْمُتَعَلِّمِينَ خلاف ما يقتضِيه العلمُ الذي سمِعُوه، وضِدَّ الواجِبِ مما يلزمُهم أن يفعلوا).

وأما الأمر الثالث الذي أردتُ أن ألفِت انتباه طلاب العلمِ إليه وأنا منهم، وأشرتُ إليه في أول المجلس، فهو حِرصُ السَّلَف علىٰ الانتفاع بالعلم، فنيتهم في طلب العلم رفع الجهل عن أنفسهم،

والانتفاع بالعلم في عملهم وحياتهم. قال عامرٌ الشِعبي: (كنا نستعين علىٰ حفظ الحديث بالعمل به، وكنا نستعين علىٰ طلبه بالصوت) كنا نستعين علىٰ حفظ الحديث بالعمل به، وكنا نستعين علىٰ طلبه بالصوت. انظروا؛ الطلب يستعينون فيه بعبادة، والحفظ يستعينون فيه بعبادة. الحفظ يستعينون فيه بالعمل بالحديث، والطلب يستعينون فيه بالصوت.

وعن أبي قِلابة عبد الله بن زيد الجرمي قَالَ: (يا أيوب إذا أحدث الله لك علمًا فأحدث له عبادة) إذا رزقك الله علمًا فأحدث عبادة، يعني اعمل عبادة. (ولا يكن همك أن تحدث به) لا يكن همك من العلم أن تصبح محدثًا عالمًا، ولكن ليكن همك أن يحسن عملك بهذا العلم. وعن الحسن البصري قَالَ: (كان الرجل يطلب العلم فلا يلبث أن يُرىٰ ذلك في تخشعه وهديه ولسانه ويده).

يا إخوة؛ طالب العلم في أول الطلب قد يغفل عن صحيح اَلنِّيَّة لصغر سنٍّ أو عدم إدراكٍ، لكن إن أحسنَ الطلب تأتي اَلنِّيَّة، وهذا الذي كان عليه السلف. ثم إذا أتت النية يعظم الشأن عند طالب العلم، فيُرىٰ ذلك في أدبه، في أخلاقه، في عباداته، في تخشعه؛ يكون حيث يكون أحسن من يكون، لا يكون آخر الموجودين عبادة، ولا أقلهم عبادة، ولا أقلهم حُسنًا للعبادة، بل يكون خير ما يكون.

وقال سفيان الثوري: (يهتف العلم بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل).

وسُئل سفيان الثوري: أيُّما أحبُّ إليك، طلبُ العلم أو العمل به؟ يعني أيُّما أحبُّ إليك؟ الإكثار من طلب العلم أو العمل مع الطلب؟ فَقَالَ: (إنما يُرادُ العلمُ للعمل) هذه النية الصحيحة، السلف كانوا يتعلمون ليزكوا أنفسهم، ثم أن يسرَ الله لهم أفاضوا علىٰ غيرهم بهذا العلم. قَالَ: (إنما يُراد العلم للعمل، فلا تدع طلب العلم للعمل ولا تدع العمل لطلب العلم). لا تقول أنا بتعبد وكذا... وتترك طلب العلم. ولا تترك العمل من أجل طلب العلم.

وعن المرُّوزي قَالَ: قال لي أحمد: (ما كتبتُ حديثًا عن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا وقد عملتُ به، حتىٰ مرَّ بي الحديث أن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ احتجمَ وأعطىٰ أبا طيبة الحجام دينارًا، فاحتجمتُ وأعطيتُ الحجام دينارًا). وقد جاء عنه رَحِمَهُ اللهُ أنه قَالَ: (ما علمت سُنَّةً إلا وعملت بها ولو مرّة، إلا أمرٌ واحدٌ ما استطعته، ألا وهو الطواف علىٰ البعير) رَحِمَهُ اللهُ رحمةً واسعة.

وأختم هذا المجلس بشيء عجيب من الإمَام أحمد رَحِمَهُ اللهُ، رُئِي الإمَام أحمد وقد جعل نعليه تحت إبطه وهو يجري، فقيل له: (إلىٰ متىٰ تجري يا أحمد مع الصبيان؟) فَقَالَ: (إلىٰ المقبرة)

العلم لا انقطاع له، بل كلما ازداد الإنسان علمًا ازداد معرفةً بأن الذي يجهله أكثر فيحرص علىٰ طلب العلم ولو تقدم في العلم، يجالس العُلَمَاء، يدارس العلماء يستفيد من العُلَمَاء، يبقىٰ طالب علم ما بقي حيًا. ولذلك يا إخوة العلم لا يناله ملول ولا يناله متكبر، من فقد الصبر والتواضع فقد العلم، لا بدَّ في العلمِ من صبر؛ الملولُ لا يُحصِّلُ علمًا، تجدُه كالعصورِ ينتقِلُ من شجرةٍ إلىٰ شجرةٍ، ولربَّما سقطَ عن الشَّجَرَةَ، العلم يحتاج إلىٰ صبر ومثابرة؛ أن تبقىٰ مع شيخك تقرأ وتسمع وتصبر وتستمر. والمتكبر يمنعه كبره من طلب العلم. وكم من طلابٍ يتكبرون عن أن يُروا في حِلق أهل العلم لأنهم رأوا في أنفسهم أنهم صاروا أكبر من الطلاب الذين عند الشيخ، فحرمهم هذا من علم كثير.

معاشر الأفاضل؛ إنكم في الجامعة، في جامعة أسسها العلماء الكبار؛ قام عليها الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللهُ، والشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ؛ أسَّسوا مناهجَها، وبُنِيَت علىٰ تقوىٰ من الله، أُريدَ منها أن تكون هديَّةً لأبناء المسلمين علىٰ نهج السلف الصالح رِضْوَانُ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَيْهِم؛ لأنَّ اليقين أنه لا عزة ولا خيرَ للأمة إلا بلُزومِ منهج السلف الصالح رِضْوَانُ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَيْهِم، إلا بالتوحيد والسنَّة والعلمِ النافِع. هذه الجامعة أُسِّسَت علىٰ تقوىٰ من الله، وفيها خيرٌ عظيم، وأنتم في مدينة رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفيها علماء وشيوخ أجلاء يدرِّسون ويُقرِّرون العلم. والإخوة في عمادة شؤون الطلاب مع الجهات الخيرة وعلىٰ رأسها معهد الأئمة والخطبَاء يحرِصون علىٰ إقامة مثل هذه الدورات. ألا فإني أُوصيكم بالحرص علىٰ أوقاتكم. قد زاحمتم غيركم في القبول، ودفعتم غيركم، ووُفقتم أنتم إلىٰ القبول، فوالله إن هذا يحملكم أمانة أعظم، إن من الخيانة والغش للأمة أن تدفعوا غيركم عن هذا المكان ولا تقوموا بحقه، ولا تحرصوا علىٰ أن تكونوا طلاب علم.

فالله الله في الوقت يا أحبة، احرصوا علىٰ الوقت، سواء في الجامعة، سواء في حلق أهل العلم، سواء في الدورات العلمية، ازدادوا علمًا واحرصوا علىٰ أن تقضوا أوقاتكم في هٰذَا. والله يا أخوة والله سافرتُ كثيرًا ولقيْت كثيرًا من طلاب الجامعة الذين تخرجوا في هذه الجامعة، الذي اتفقوا عليه جميعًا أنهم ما ندموا علىٰ شيء ندمهم علىٰ التفريط في الوقت في مدينة رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فالله الله يا أحبة.

أيها الأحبة؛ إنما هذه الكليمات أردت منها أن أثير انتباهنا جميعًا إلىٰ هذه الأمور الثلاثة العظيمة:

- ✓ الهمة العالية عند السلف في طلب العلم.
- ✓ حرص السلف علىٰ الجمع بين العلم والأدب، وعلىٰ تسوير العلم بالأدب.
- ✓ حرص السلف علىٰ الانتفاع بالعلم والعمل به.

والله تعالىٰ أعلىٰ وأعلم، وصلىٰ الله عَلَىٰ نبينا وسلم.

جزىٰ الله فضيلة شيخنا الدكتور سليمان بن سليم الله الرحيلي خيرًا.

هذا البرنامج ولله الحمد بالتعاون والتنسيق ما بين وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد والجامعة العريقة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ومن دواعي السرور أن يكون هذا البرنامج في افتتاحيته شيخ فاضل وعالم جليل، أسأل الله سُبْحَانَهُ وتعالىٰ أن يجعل ما قاله في ميزان حسناته وأن يبارك فيه وفي ذريته وأهله، وفيكم جميعًا.

أيها الأحبة؛ هذا البرنامج بِإِذْنِ اللهِ يستمر بداية من الغد من بعد صلاة العصر إلىٰ صلاة العشاء. غدًا بِإِذْنِ اللهِ الدكتور علي بن يحيىٰ الحدادي مدير الوعي الفكري بجامعة الإمام محمد بن ٠١:٢٣:٠٧، وهكذا تستمر الدروس إلىٰ يوم الثلاثاء بِإِذْنِ اللهِ سُبْحَانَهُ وتعالىٰ بعد صلاة العصر إلىٰ صلاة العشاء، والمؤمل فيكم خير أن تحضروا وتستفيدوا. ويوميًا بِإِذْنِ اللهِ بعد صلاة العشاء معكم فضيلة الشيخ الوالد محمد بن رمزان الهاجري، يحدثنا جميعًا عن الوسائل المفيدة للحياة السعيدة بعد صلاة العشاء يوميًا. هذه الأربعة الأيام، ونهيب بالجميع الحضور.

(الأسئلة)

سؤال: ما نصيحتكم لبعض الطلاب الذين بوشك التخرج مع أنهم لم يحفظوا متنًا واحدًا من متون العلم، وهل لهم أقصر طريق للاستدراك؟

الجواب: الحَمْدُ للهِ؛ أولًا أقول غفر الله لأخي الشيخ عيسىٰ، فوالله لست عالمًا، وأنا أعلم بنفسي من غيري، وما أنا إلا طالب علم، أحب الخير للأُمَّةِ، وأبذل ما عندي من القليل، وأسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يغفر لي التقصير. والله والله إني لا أرضىٰ أن يُقال عني إني عالم، لا في حضوري ولا في غيبتي. وأسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يلطف بنا أَجْمَعِيْنَ. ثم إن هذا السؤال مهم جدًّا، ذكرت مرارًا أن طالب العلم عند البدء لا بد من أن يُنشئ له خطةً ومنهجًا يسير عليه في طلب العلم حتىٰ لا يسير خط عشواء، وحتىٰ يضبط العلم، وحتىٰ يعرف ما الوسائل المفيدة لضبط العلم. وإن من الأمور المقررة عند أهل

العلم أن حفظ المتون طريق ضبط الفنون، والعلم من أعظم ما يُضبط به أن يحفظ طالب العلم متنًا في الفن. وليس المقصود ما في المتن بحد ذاته، وإنما المقصود أن يعرف طالب العلم هذا العلم كيف ترتيبه، ما مسائله، لو أراد أن يبحث عن مسألة في أي باب يبحث، وهذا يسهل جدًّا علىٰ من يحفظ متنًا في الفن الذي يدرسه.

طالب العلم يحتاج إلىٰ الحفظ وإلىٰ الفهم، فالحفظ فقه والفهم فقه، ولذلك جاء: «رُبَّ حامِلِ فِقْهٍ إلىٰ مَن هو أَفْقَهُ منه». الحديث ذاته فقه، وحفظه فقه، وفهمه فقه. فطالب العلم بحاجة إلىٰ الحفظ والفهم، وأعظم ما ينبغي أن يهتم به طالب العلم أن يحفظه ولو بلغ سبعين سنة أن يحفظ القُرْآن، لا تخلي نفسك من حفظ القُرْآن، وقضية قول بعض الإخوة أنا مشغول الآن بطلب العلم عند المشايخ ونحو ذلك قضية ليست صحيحة. يا أخي؛ لو أنك فقط في كل يوم تحفظ آيتين فَقَطْ، تُلزِم نفسك أنك تحفظ آيتين، ما عندك وقت؟ وأنت في السيارة أو أنت في الطريق، تقرأ الآية وترددها وترددها وترددها، وإذا جئت تُصلي في الليل تُصلي بها، ثم في اليوم الثاني كذلك، والثالث كذلك. لا تُخلِي نفسكَ من أمرَينِ شريفينِ: أن تقرأ القرآن في كل يوم، وأن تحفظ من القرآن شيئًا في كل يوم إن لم تكن قد حفظت. هذا كالروح لطالب العلم، من لم يعمل بهذا يكون علمه كالميت؛ أصل العلم القرآن وسنة النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثم أن تحفظ متنًا، وهذا يكون باستشارة شيخ فاضل في الفن، يسمع منك وتسمع منه ويرشدك إلىٰ متن. ويستطيع الطالب أن يتدارك إذا كان لم يحفظ يستطيع أن يحفظ، ولكن إياك أن تُحمِّل نفسك فوق ما تُطِيق وتستطيع فتنقطِع. إذا كنت تستطيع أن تحفظ في كل يوم بيتًا فاحفظ بيتًا، لا تُحمِّل نفسك أنك تحفظ ورقة؛ لأنك حتىٰ لو استطعت في أول مرة وثاني مرة مع الحماس ستصاب بالإحباط، لكن ابدأ بالذي تستطيعه؛ أنا أستطيع أن أحفظ بيتًا من المنظومة أحفظ بيتًا؛ جيد.

ولا يكن همك آخر المنظومة، أنا دائمًا أقول لطلاب العلم اعتبر هذه المسألة أو هذا البيت كل العلم، فإذا أتقنته وضبطته فكأنك حصلت كل العلم وتنتقل إلىٰ غيره، أما أنك تجلس تعد المنظومة... هذا الأول والمنظومة فيها ثلاثمائة بيت.. أووو....، تصاب بالإحباط؛ لا، اجعل المسألة التي تدرسها كأنها كل العلم، أعطيها كلك لتفهمها، اجعل البيت الذي تحفظه كأنه كل

المنظومة، حتىٰ إذا حفظته تشعر بقوة ونشاط، ربما في اليوم التالي تحفظ بيتين، وهكذا حتىٰ تضبط هذا الباب.

سؤال: قطاع الطرق لطالب العلم كثر -وَالعِيَاذُ بِاللهِ-، وظهر في هذا الزمن فِرق وأحزاب كتنظيم الإخوان المسلمين والتبليغ الأحباب والسرورية، فما نصيحتكم؟

الجواب: لن يُفلح العبد إلا إذا سار علىٰ مقتضىٰ كتاب الله وعلىٰ سنةِ رسولِ الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالفهم الصحيح، بفهم سلفِ الأُمَّة. ودائمًا أقول إن منهجَ السلف والعلمَ السلفي يمتدُّ بسلسلةٍ من النور إلىٰ رسولِ الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا ينقطِع، وأتحدَّىٰ أيَّ فرقةٍ تُخالِفُ منهج السلف أن ترتفعَ إلىٰ الصَّحَابَة، لا بدَّ أن تنقطِع إلىٰ رجلٍ دون الصحابة رِضْوَانُ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَيْهِم، وهذا يدلُّك علىٰ أن الحقَّ هو منهج السلف وعقيدة السلف وعلم السلف وطريقة السلف؛ فإنه العلم الموصول وغيره علم مقطوع، والعلم المقطوع لا يُوصل إلىٰ خير.

الأشاعرة لا يستطيعون أن يرتفعوا فوق أبي الحسن الأشعري، مع أن الأشعري ترك ما هم عليه، لكنهم لا يستطيعون أن يرتفعوا فوقه، غاية منتهاهم هو هذا الرجل، لا يستطيعون أن يصلوا إلىٰ الصَّحَابَة. ولذلك كان شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة رَحِمَهُ اللهُ يعطي خصومه سنة ليحضروا كلمة واحدة عن الصحابة تخالف ما يقرره في العقيدة، ولا يستطيعون؛ لأنهم ما يستطيعون أن يرتفعوا إلىٰ الصَّحَابَة. أنت يا طالب العلم تعدُّ لأمرٍ عظيم، تُعد لتكون كبير قومك. ومن فضل الله علينا أن نجد أن خير الدعاة في العالم الإسلامي من خريجي هذه الجامعة، وهذا فضل الله علينا وعلىٰ المُسْلِمِيْنَ، فإياك أن تسلم نفسك لمن يلعب بعقلك، لمن يريد أن يقطع عنك الطريق.

كل الفرق تعمل بالعاطفة، والمنهج السلفي يعمل بالعلم. الإخوان يريدون أن يصطادوك، ما عندهم إلا التلاعب العاطفي والعبارات البرّاقة التي ليست تحتها حقيقة، التبليغ بالعاطفة... فلان وأسلم وكنّا معه وصار و ... و ... أما من يسيرون علىٰ طريقة السلف ما عندهم إلا حقائق، ما عندهم إلا علم، ما عندهم إلا بيان واضح جلي، ذكره من قبلهم، وذكره من قبلهم إلىٰ أن تصل إلىٰ رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فانتبه يا عبد الله، انتبه. والله هؤلاء يشغلونك عن الخير، يخرج الإنسان معهم يُعطيهم نفسه فيصبح طبلًا ينتفخ ولا شيء في الداخل، حتىٰ يظهرون له أنه شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة إمام العصر، وما هو إلا طبل كبير الصوت لو شققته ما وجدت شيئًا.

فإياك يا طالب العلم لا تُسلم نفسك لمن يريد أن يلعب بك، لمن يريد أن يقطعك عن سلسلة النور التي تمتد إلىٰ رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأعرض عن الجاهل. والحمد لله أهل العلم بيَّنوا ووضَّحوا ما بقي، ما بقي إلا هدىٰ أو ضلال، ما بقي أن الإنسان يقول والله أنا ما أدري، العلماء بيَّنوا ووضَّحوا بجلاء. فالأمر أمامك واضح يا أخي؛ إما طريق الهدىٰ وهو الذي يصل إلىٰ رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإما طريق الضلال نعوذ بالله من الضلال.

سؤال: أمامك يا شيخنا ما يقرب من مئة وخمسين دولة، أو أكثر من مئة وخمسين دولة أمامك يا شيخ، وهم ولله الحمد سفراء الوسطية والاعتدال. وهذه البلاد، المملكة العربية السعودية تبذل جهودًا عظيمة للمسلمين في العالم، فما توجيهكم؟

الجواب: ذكرت في ثنايا المحاضرة أن السلف كانوا يفرحون إذا رأوا طلاب العلم، ووالله ثم والله؛ وأنا أدخل هذه الجامعة منذ عام ١٣٩٨ هـ، دخلتها طالبًا في المتوسط ولم أخرج منها بحمد الله، والله الذي لا إله إلَّا هو أني كلما دخلت هذه الجامعة ازداد الأمل في نفسي ورجوت للأمة خيرًا؛ لأن هؤلاء الطلاب من هذه الدُّول، بل حتىٰ من دُّول غير إسلامية يتعلمون العلم السّلفي والعلم النافع، يُرجىٰ أن يكونوا مصابيح الدّجىٰ، أن يعلموا الناس التوحيد، أن يعلموا الناس السّنّة، أن يعلموا الناس العلم النافع، أن يقطعوا الطريق علىٰ قطاع الطُّرق الذين يغشون الأمة ويُخدِّرون الأمة بعبارات لا تُسمِن ولا تُغني من جُوع. وَالحَمْدُ للهِ الآن علىٰ مستوىٰ العالم أكبر تجمع دولي هو الجامعة الإسلامية من حيث عدد الجوازات المسجلة، وهذا فضل الله.

والمملكة عندما أنشأت هذه الجامعة بإشارة الشيخين ابن إبراهيم وابن باز رَحِمَهُم اللهُ حرصت علىٰ أن تقوم هذه الجامعة بالدور لم تُملي علىٰ أحد شيئًا، ولم تطلب من أحد شيئًا، ولا تَمْتَنُ وَلَنْ تَمْتَن وَلاَ حقَّ لنا أن نَمْتَن، لكن حارصت علىٰ أن تُعلم طلاب العلم هؤلاء الأمانة الَّذِينَ يأتون من هٰذِه الدول أن تعلمهم العلم النافع الصحيح المتين الَّذِي ينفع الله به هٰذِه الأُمَّة. حرصت المملكة علىٰ هذا الأمر وبذلت وتبذل ولا منة، فما نحن إلا إخوة، والهدف واحد؛ هو إقامة دين الله، إعلاء كلمة لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، إظهار الخير، إظهار العلم النافع. والإخوة يأتون من بلدانهم ويُفرغون للعلم، فيا إخوة فقط أقول لا تشغلوا أنفسكم بغير العلم مما لا حاجة إليه، أشغلوا أنفسكم بالعلم لتكونوا دعاة

خير، وينفع الله بكم كلكم، كلكم جئتم وقد رأيتم شيخًا خريج الجامعة كان يقوم بالخير في بلده، فاحرصوا أن تكونوا مثله أو خيرًا منه حتىٰ ترجعوا إلىٰ بلادكم بالخير.

وأنت يا أخي؛ لو أن الله وفقك في كل عمرك إلىٰ أن تخرج مشركًا من الشرك الأكبر، واحد فَقَطْ، والله إنك فزت فوزًا عظيمًا، فكيف إذا فتح الله علىٰ يديك واستطعت أن تنقذ أعدادًا كبيرة، والأمور مُيسَّرة، والله يا أخوة أنا رأيت في أفريقيا والله العظيم إني رأيت بعض القبائل الوثنية تجلس مع كبيرهم ساعتين ثلاث ساعات يسلم فتسلم القبيلة كلها.

أضرب لكم مثالًا تشويقًا فَقَطْ؛ في عام ١٤١٢ هـ سافرت إلىٰ بلد أفريقي ورأيت قرية مسلمة بحاجة إلىٰ الماء، كانوا يذهبون حوالي خمسة أكيال لحمل الماء الصالح للشرب، فسعيت مع بعض أهل الخير في أن نحفر بئرًا، ما كان يُكلِّف شيئًا في ذاك الوقت، وحُفر البئر، ووجهناهم أن القبيلة الوثنية التي بجوارهم تشرب من البئر، والله يا أخوة ما مر شهر إلا وقد أسلمت القبيلة بأميرها وأعدادها وكانوا أكثر من ثلاثمائة وسبعين شخص، ما هو إلا أمر بسيط أن تستطيع إذا رجعت إلىٰ بلدك تدعو من أشركوا ممن ينتسبون إلىٰ الإسلام، تدعوهم إلىٰ التوحيد، تدعو المشركين الذين لم يعرفوا الإسلام، تدعو المبتدعة ليعودوا إلىٰ السُّنَّة؛ ومجرد الدعوة هذا فوز عظيم، والله لو ما أجابك أحد هذا فوز عظيم، المهم أن تكون علىٰ صواب. مصيبة أن تقضي عمرك وأنت تدعو إلىٰ ضلال وتظن أنك علىٰ هدىٰ، هذه المصيبة، كيف أضمن بأن أكون علىٰ منهج السلف؟ علىٰ طريق السلف؟ هذا والله صواب لا شك فيه. ما دمت تدعو إلىٰ الله علىٰ علم وبصيرة وعلىٰ نهج سوي فأنت في خير حتىٰ لو كل الناس نفروا منك، كيف والحمد لله نحن نرىٰ وغيرنا يرىٰ ما يحصل من استجابة، وما يحصل من خير، وما يحصل من زيادة في أعداد من يسلكون المنهج السوي والطريق السوي.

فوصيتي يا إخوة أن لا تضيعوا الوقت وأن لا تنشغلوا بما لا فائدة فيه، وأن تحرصوا علىٰ طلب العلم مخلصين لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأن تغتموا أوقات ذهابكم إلىٰ بُلدانِكم في الدعوة إلىٰ الله، دعوة جميع الفئات إلىٰ دين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. واللهُ أَعْلَمُ متىٰ يأتي الموت، والله ما ندري، والله أنا درست طلابًا في السنة الرابعة قبل أن يتخرج بأسبوع مات، ما ندري مَتَىٰ، لذلك لا بد أن نغتنم الوقت، ما عندنا ضمان أن نعيش إلىٰ ٧٠ سنة ٨٠ سنة، ولذلك نغتنم الوقت الذي نحن فيه علىٰ قدر علمنا

وعلىٰ قدر قوتنا وعلىٰ قدر جهدنا. ولعلي أختم بشيء يا إخوة؛ الآن صارت الدعوة أسهل، الآن وأنت في بيتك ترسل مقطعًا لأهل المسجد، لأهل القرية، لأهلك، وأنت في البيت مباشرة تكلمهم، أو تقطع مقطعًا لأحد المشايخ وتترجمه، إما أن تكون الترجمة كتابية وهذه الطريقة جميلة، وإما يكون الشيخ يتكلم حتىٰ إذا فرغ تتكلم أنت وليس الشيخ، تتكلم أنت بلغة القوم، تترجم كلام الشيخ. أما هذه الطريقة الجديدة التي يجعلون الشيخ كأنه يتكلم بنفس اللغة، أنا تفاجأت أمس أني أتكلم هندي، والله أرسلوا لي مقطع ومركبين علىٰ الصوت، لو ما أعرف نفسي قلت هندي. هذا ما يصلح، هذا تزوير، هذا تدليس؛ وأنا ما أرىٰ أن توهِم الناس أن الشيخ يتكلم بهذا وهو ليس كذلك ما أراه، لكن إما أن تكون الترجمة كتابية وإما أن تكون صوتية بعد أن ينتهي الشيخ للتوثيق ولمن يفهم العربية أنت تترجم بصوتك. ويا إخوة؛ حتىٰ الذي ما يستطيع أن يقطع علىٰ الأقل يقوي المقاطع بالدخول عليها والمشاهدة حتىٰ تصبح تُقترح علىٰ الناس، هذا مهم جدًّا، والله هو من الدعوة إلىٰ الله، وما تدري ما ذا يحصل، ما تدري والله شيء بسيط قد يحصل به نفع عظيم.

أحد الأخوة من أحد الدول لاقيني في المسجد النبوي وأنا أمشي بثوبي، جاء يجري ورائي، قال الشيخ سليمان، التفت، أنا ما أحب أحد يمشي معي في غير وقت الدروس، فالتفت إليه وقلت نعم، قال لا أنا ما عندي شيء، فقط أحببت أن أشكرك، قلت خير؟ قال يا شيخ والله تستطيع أن تقول أنا وأبي وأمي وإخواني وأخواتي ما كنا مسلمين، ما عندنا من الإسلام إلا الاسم، ولا نسمع للمشايخ نقول هؤلاء متشددون، يقول لكن أرسل لنا شخص مقطعًا لك، شاء الله أن تكون الصورة الظاهرة وأنت مبتسم، قال فقلنا سبحان الله نشوف هذا الشيخ المبتسم ماذا يقول. يقول ففتحنا المقطع فوالله يا شيخ انفتح علينا باب الخير، لا أقول لك الآن أهلي مسلمون، أقول لك أهلي كلهم سلفيون، فلا تحقرن من الخير شيئًا، ما تدري والله ربما ترتفع إلىٰ الفردوس بسبب شيء يسير يجر لك أجورًا عظيمة لا تنقطع.

أسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يتقبل مني ومنكم. علىٰ كل حال يعني يقولون الإخوة أحثهم علىٰ الحضور؛ ما يحتاج، ما شاء الله عليه، لكن علىٰ كل حال أنا ما جئت إِلَّا لأحثهم علىٰ الحضور، أنا كما يقولون فاتح شهية، ولا في الدسم والطعم والطعام في القادم إِنْ شَاءَ اللهُ، لا شك أني أحث الإخوة جميعًا عَلَىٰ الحضور، علىٰ الحضور للمشايخ، واغتنام الغنية في درس الشيخ الحمد بن رمزان الهاجري، له أسلوبه وطريقته ٠١:٤٨:٣٧ في مسألة الحياة السعيدة ما شاء الله عليه.

واللهُ تَعَالَىٰ أَعْلَىٰ أَعْلَمُ.

وَصَلَّ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا وَسَلَّمَ